

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

وغدت وفي نفسها للأعداء حزازه فامتطوا بخيولهم من جبال لبنان تيجانا لها صاغتها الثلوج ومعارج لا مرافق بها غير الرياح الهوج وانحطت تلك الجيوش من تلك الجنادل انحطاط الأجادل واندفعوا في تلك الأوعار واندفاع الأوعال ولم يحفل أحد منهم بسرب لاصق ولا جبل شاهق فقال أهذا منخفض أو عال وشرعوا في التحصيل لما يوهي ذلك التحصين وابتنى كل سورا أمام أسوارها من التدبير الحسن والرأي الرصين فما لبثوا إلا بمقدار ما قيل لهم دونكم والاختطاب ونقل المجانيق على الخيل وعلى الرقاب حتى جروها بأسرع من جر النفس وأجروها على الأرض سفائن وكم قالوا السفينة لا تجري على يابس وفي الحال نقلت إليها فرأوا من متوكلها من يمشي بها على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ووجهت سهامها وجوهاها إلى منافذها فما شوهدت منها عين إلا وكان قدامها منها إصبع وألقيت العداوة بين الحجارة من المجانيق والحجارة من الأسوار فكم ثقت وثقت عن فلذة كبدها عن وأوقدت نيران المكاييد ثم فكم حولها من صافن ومن صافر وكم رمتهم بشر كالقصر فوق الحافر كما يقال على الحافر وما برحت سوق أهل الإيمان في نفاق على أهل النفاق وأكابرهم تساق أرواحهم الخبيثة إلى الساق .

وكان أهل عكا قد أنجدوهم من البحر بكل بر ورموا الإسلام بكل شر وبكل شر فصار السهم الذي يخرج بها لا يخرج إلا مقتربا بسهام وشرفات ذلك الثغر كالثنايا ولكنها لكثرة من بها لا تفتقر عن ابتسام . وما زالت جنود الإسلام كذلك ومولانا السلطان لا ترى جماعة مقدمة ولا متقدمة إلا وهو يرى بين أولئك .

واستمر ذلك من مستهل ربيع الأول إلى رابع ربيع الآخر فزحف إليها في بكرة ذلك النهار وهو الثلاثاء زحفا يقتحم كل هضبة ووعدة وكل صلبة وصلدة حتى أنجزا وعده وفتحها المسلمون مجازا وفي